الـرضـــــا

الرضا نعمة من أعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان ، فهي منة ربانية عظيمة ، ومنحة إلهية جليلة ، وعبادةٌ قلبيَّة رفيعة الشأن ، ودرجة إيمانيَّة عالية ، لا ينالها إلا من عَمُر قلبه بالإيمـان ، وعرف ربه حق المعرفـة ، والتزم بالأوامر واجتنب النـواهي ، وعزفت نفســه عن الدنيا بملذاتها حتى استوى عنده حجرها بمدرها.

والرضا ضد السخط ، ورضا العبد عن الله تعالى ألا يكره ما يجرى به قضاؤُه، ورضا الله تعالى عن العبد: أَن يراه مؤتمرًا لأَمره ، منتهيًا عن نهيه، والرّضوان: هو الرضا الأكبر ، ولما كان أعظم الرضا هو رضا الله تعالى خص لفظ الرضوان فى القرآن بما كان من الله تعالى ، قال سبحانه: {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانًا}[الفتح:٢٩]، وقال تعالى: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ} [التوبة: ٢١] (نضرة النعيم بتصرف).

فالرضا أساس من أسس الإسلام وكمال الإيمان ، فلا يكتمل إسلام العبد ولا يتذوق طعم الإيمان حتى يرضى بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيًّا ورسولاً ، فعن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً) (رواه مسلم) ، وبنظرة عميقة في كلام سيدنا رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) ندرك أن الرِّضا بالله تعالى متضمّن للرّضا بمحبَّته وحده، وخوفه ورجائه والإِنابة إِليه ، وذلك يتضمّن عبادته والإِخلاص له.

بل أقسم الله (عز وجل) بأن الوصول لدرجة كمال الإيمان مرهون بالرضا والتسليم والإذعان المطلق لكتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وخاصة عند النوازل ، وهذه هي حقيقةُ الرِّضا عن الله (عز وجل) ، قال تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[النساء:٦٥].

كما أن نعمة الرضا تقرب العبد من ربه ، وتبعده عن سخطه سبحانه وتعالى ، قال لقمان الحكيم موصيًا ابنه: (أوصيك بخصال تقرّبك من الله وتباعدك من سخطه : أن تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت) (مدارج السالكين لابن القيم).

وجدير بالذكر أن الحق سبحانه وتعالى لا يختار لعبده إلا الأفضل والأصلح له ، فالأرزاق بيد الله ، ومقاديرها عند الله ، وأن الفقر قد يكون أفضل للإنسان من الغنى. فمن العباد من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغناه الله تعالى لفسدت حياته ، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقره الله تعالى لفسد حاله ، ومنهم من لا يصلحه إلا الصحة ولو مرض لفسد حاله ، ومنهم من لا يصلحه إلا المرض ولو أعطاه الله الصحة والقوة لفسدت حياته ، ومن ثمَّ فيجب أن يقنع الإنسان ويرضى بما قدره الله تعالى له ، سواء أعطاه أم منعه ، فكل ما يصيبه خير له ، لأنه بقدر الله تعالى وحكمه، فعن أبي يحيى صهيب بن سنانٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (رواه مسلم) ، فالخير كل الخير في الرضا عن الله (عز وجل)، والشر كل الشر في السخط والجزع وعدم الرضا ، فإذا رضي العبد بما قدر الله له ارتفع إلى أعلى درجات الإيمان ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: (ذِرْوَةُ الْإِيمَانِ أَرْبَعٌ : الصَّبْرُ لِلْحكمِ ، وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ ، وَالْإِخْلَاصُ لِلتَّوَكُّلِ ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ) (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

والرضا عن الله عز وجل نوعان:

الأول: الرضا بفعل المأمور به واجتناب ما ورد النهي عنه ، وهذا هو حال المؤمن التقي النقي، فلسان حاله هو قول الله تعالى: {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[البقرة: ٢٨٥] ، وقوله تعالى: {اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ}[التوبة:٦٢]، وهذا النوع من أنواع الرضا واجب على كل مسلم أن يبذل في تحصيله النفس والنفيس، قال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ}[البقرة: ٢٠٧]، وقال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ}[التوبة: ٥٩].

والنوع الثاني: الرضا بالقضاء ، فالإنسان بين حالين ، حال السلب وحال العطاء ، فعند العطاء عليه الشكر ، وعند السلب والمنع عليه الرضا والصبر ، ويصل العبد إلى نعمة الرضا بقوَّةِ إيمانه وحُسن اتِّصالِهِ بالله عز وجل ، وبالصبر والذكر وحسن الطاعة والمحافظة على العبادة ، وهذا هو الطريق الذي رسمه الله تعالى لحصول الرضا ، قال تعالى: {فاصبر على مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَآءِ الليل فَسَبِّحْ

وَأَطْرَافَ النهار لَعَلَّكَ ترضى} [طه:١٣٠] ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: (عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ) (رواه ابن ماجه في سننه).

وأما الرضا بنبيه (صلَّى الله عليه وسلَّم) رسولاً : فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه ، بحيث يكون أولى به من نفسه ، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة (بصائر ذوي التمييز). ومن ثم فإن أجَلِّ المقامات وأعلاها الرضا بقضاء الله تعالى وقدره .

إن الإنسان بدون الرضا يقع فريسة لليأس والإحباط، فتحيط به الهموم والغموم من كل مكان، ولنعلم جميعًا أن الرضا لا يعني الاستسلام أو اليأس وتبلد المشاعر ، وغير ذلك من مظاهر السلبية ، فهذا خداع للنفس ومفهوم خاطئ عن الرضا ، فالإسلام الحنيف يحض على العمل ويشجع عليه ، ويكره الكسل والكسالى والعالة على غيرهم، فالرضا دافع للعمل والإنتاج ، وهو من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين ، وهو مفتاح كل خير ، ويمنع صاحبه عن ارتكاب أي شر .

على أن الأخذ بالأسباب لا ينافي الرضا ، بل إنه من تمامه ، فالله عز وجل اقتضت حكمته وقدرته أنه جل جلاله أراد بنا أشياء ، وأراد منا أشياء ، فما أراده بنا أخفاه عنا ، وما أراده منا أظهره وأمرنا بالقيام به والمحافظة عليه ، فعلينا أن نرضى بما أراده لنا ونعمل فيما أراده منا .

وفي حياة الرسل والأنبياء (عليهم السلام) والصالحين صور مشرقة في تحقيقهم لكمال الرضا عن الله عز وجل ، فكان الرضا غاية سيدنا موسى الكليم (عليه السلام) ، قال تعالى حاكيًا عنه: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}[طه: ٨٤] أي: عجلت إليك شوقًا إلى رضاك ومحبتك، وقال لنبيه ومصطفاه (صلى الله عليه وسلم):{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [سورة الضحى:٥].

وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عاش ألوانًا من الفاقة والحاجة فواجهها بالرضا والقناعة ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا ، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، فَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ ، وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ) (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

ولقد ضرب لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في الرضا عن الله عز وجل، وحياته (صلى الله عليه وسلم) تعبر عن كمال الرضا وتمامه وتحقيقه في أكمل صورة وأبهى مشهد ، فبالرغم من كونه حبيب الله وسيد ولد آدم ولا فخر إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يطلب الدنيا أو نعيمها ، ورضي بما قسمه الله له من معاش الدنيا ، فعَنْ ابن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى حَصِيرٍ ، فَأَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ، جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) (رواه أحمد).

كما علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم كيف نستقبل قدر الله ، فحين مات ولده إبراهيم وهو طفل صغير ، لم يفصل هذا القدر عن مُجريه ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ (رضي الله عنه): وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: (يَابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ)، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُنُونَ) (متفق عليه)، وهو بذلك يعلمنا (صلَّى الله عليه وسلَّم) ألا نفصل القدر عن مجريه وهو الله (عز وجل) ، ففي الإيمان بقدرته تعالى واستطاعته ومشيئته وإرادته وعلمه الأزلي رضًا بالله.

وهذا ما ينبغي أن نتحقق به، فكل ما نتعرض له، علينا استقباله بنفس راضية، وأن الله (عز وجل) لا يريد بنا إلا كل ماهو خير ، ففي الرضا اطمئنان القلوب وسكينتها، ويقين صادق بأن ما عند الله هو الخير.

صفحات مشرقة في حياة أهل الرضا:

يحكي لنا القرآن ماكان من أم موسى (عليه السلام) من رضًا ويقين واستسلام لقضاء الله (عز وجل) ، وذلك في قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ

فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[القصص: ٧].

هذا الموقف العظيم يبرز لنا جانبًا من جوانب الاستسلام لأوامر الله والانقياد له والرضا بما قضاه وقدّره ، ومع تعلق قلب الأم برضيعها ، إلا أنها تضرب أنموذجًا مثاليًّا في الثقة واليقين والرضا بقضاء الله ، وتلقي بولدها في اليمّ ، ولأنها رضيت بالله مع تمام الثقة واليقين به (عزّ وجَل)؛ كانت المكافأة من الله (عزّ وجلّ) ابتداءً، فبالرغم من أن آل فرعون هم الذين التقطوه، وحاولت امرأة فرعون أن تأتي له بالمرضعات ، إلا أنه (عليه السلام) لم يرض بأي مرضعة أتته، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى:{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ}[القصص:١٢]،وكانت حكمة الله تتجلى في قيمة اليقين والثقة من أم موسى بالله (عزّ وجَل)، فردّه إلى أمه:{فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[القصص:١٣]، فمع اليقين والرضا بما قدّره الله (عزّ وجَل) يكون تحقيق الوعد الإلهي لمن أيقن به ووثق فيه (جلّ وعلا)، وسبق أنْ وعدها الله: {إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ}[القصص:٧]، وها هو أوانُ تحقق الوعد الأول، وهو بُشْرى بتحقُّق الوعد الثاني:{وَجَاعِلُوهُ مِنَ المرسلين}[القصص:٧]، لكن هذا في مستقبل الأيام، وسوف يتحقق أيضًا.

ومن أجمل ما روي في الرضا عن الله (عز وجل) من قصص الصحابة والتابعين، ما جاء عن سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) حين قدم إلى مكة ، وقد كان كفَّ بصره ، جاءه الناس يهرعون إليه ، كل واحد يسأله أن يدعو له ، فيدعو لهذا ولهذا ، وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب : فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني ، وقال: أنت قارئ أهل مكة؟ قلت: نعم ، فقلت له: يا عم ، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك ، فردَّ الله عليك بصرك. فتبسم وقال: يا بُني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري .

وما جاء عن عروة بن الزبير (رضي الله عنه) فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى وَجَدَ فِي رِجْلِهِ شَيْئًا فَظَهَرَتْ بِهِ قَرْحَةٌ وَكَانُوا عَلَى رَوَاحِلَ فَأَرَادُوهُ عَلَى أَنْ يَرْكَبَ مَحْمَلًا فَأَبَى عَلَيْهِمْ ثُمَّ غَلَبُوهُ فَرَحَلُوا نَاقَةً لَهُ بِمَحْمَلٍ فَرَكِبَهَا وَلَمْ يَرْكَبْ مَحْمَلًا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَصْبَحَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}[فاطر: ٢] حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا فَقَالَ: لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْمَحَامِلِ بِنِعْمَةٍ لَا يُؤَدُّونَ شُكْرَهَا وَتَرَقَّى فِي رِجْلِهِ الْوَجَعُ حَتَّى قَدِمَ

عَلَى الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا رَآهُ الْوَلِيدُ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اقْطَعْهَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَالَغَ فَوْقَ ذَلِكَ ، قَالَ: فَدُونَكَ قَالَ: فَدَعَا لَهُ الطَّبِيبَ فَقَالَ لَهُ: اشْرَبِ الْمُرْقِدَ (المخدر) قَالَ لَا أَشْرَبُ مُرْقِدًا أَبَدًا، قَالَ: فَعَذَرَهَا الطَّبِيبُ وَاحْتَاطَ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّحْمِ الْحَيِّ مَخَافَةَ أَنْ يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ ضُرَّ فَيَرْقَى فَأَخَذَ مِنْشَارًا فَأَمَسَّهُ بِالنَّارِ وَاتَّكَأَ لَهُ عُرْوَةُ فَقَطَعَهَا مِنْ نِصْفِ السَّاقِ فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ يَقُولَ: حَسْ حَسْ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ : مَا رَأَيْتُ شَيْخًا قَطُّ أَصْبَرَ مِنْ هَذَا ، وَأُصِيبَ عُرْوَةُ بِابْنٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ وَدَخَلَ اصْطَبْلَ دَوَابٍّ مِنَ اللَّيْلِ لِيَبُولَ فَرَكَضَتْهُ بَغْلَةٌ فَقَتَلَتْهُ وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ حَتَّى رَجَعَ ، فَلَمَّا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى قَالَ: {لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا}[الكهف:٦٢] اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتَ سِتَّةً، وَكَانَتْ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنِّي طَرَفًا وَأَبْقَيْتَ لِي ثَلَاثًا وَايْمُكَ لَئِنِ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ) (المرض والكفارات لابن أبي الدنيا).

الرضا عند الشدائد والمصائب:

هذا وقد علّمنا الله (عزّ وجلّ) كيفية استقبال ما ينزل بنا من شدائدَ أو مصائبَ ، فلا شك أن المصيبة هي الأمر الذي ينال الإنسان منه المشقة والألم، والمؤمن يستقبل المصيبة واثقًا أنها على قدر إيلامها يكون الثواب عليها، قال تعالى:{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}[البقرة:١٥٦]، وقد قيل:{إنا لله}دليل على الرضا بما نزل به في الحال، وقوله:{وإنا إليه راجعون}دليل على الرضا في الحال بكل ما سينزل به بعد ذلك.

كيف نحقق الرضا واليقين ؟

تحقيق الرضا يكون باستقبال قَدَر الله (عز وجل) فينا على كل حال نعمة كانت أم نقمة على السواء بلا جزع ولا سخط، فقد سئلت رابعة العدوية (رحمها الله تعالى): متى يكون العبد راضيًا عن اللّه تعالى؟. فقالت: (إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة) (قوت القلوب).

إذن فالخير كله في الرضا على كل ما ينزل بنا ، وقد كتب عمر بن الخطّاب (رضى الله عنه) إِلى أَبى موسى الأَشعرىِّ (رضى الله عنه): أَمّا بعد، فإِن الخير كلَّه فى الرضا، فإِن استطعت أَن ترضى وإِلاَّ فاصبر. (فيض القدير).

وقد تعلم الصحابة ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وترجموه ترجمة واقعية مجسدة في حياتهم ، فعَنْ صُهَيْبٍ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (رواه مسلم)، وسئل أبو عثمان (رضى الله عنه) عن قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أسألك الرضا بعد القضاء) ، فقال: لأن الرضا قبل القضاء هو عزم على الرضا، والرضا بعد القضاء هو الرضا (الإنسان بين علو الهمة وهبوطها).

وأما عن ثمرات الرضا فكثيرة ، منها : رضا الخالق سبحانه وتعالى ، فإذا رضي العبد عن ربه فيما أمره به وفيما قسمه وقدره له رضي عنه ربُّه عز وجل ، ومنها : محبة الله سبحانه وتعالى للراضين بقضائه ، كذلك من ثمرات الرضا الراحة النفسية والروحية للإنسان ، وتجنب الأزمات النفسية من القلق والتوتر ، فالرضا يثمر طمأنينة في القلب ويُنزلُ عليه السكينة ، فيثقُ القلبُ بموعودِ اللهِ (عز وجل)، ولسانُ حالِه : {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيمًا}[الأحزاب: ٢٢]، وفوق كل ذلك الفوز بالجنة .